مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 02، شهر 2022، صص: 105- 116

تاريخ الاستلام(2021/12/27)تاريخ القبول (2022/05/25)تاريخ النشر (2022/06/30)

الأسلوب الأدبي في خطاب الشيخ محمد الغزالي

Literary Style In El Sheik Mohamed El Ghazali's Discourse

عبددو رابح
جامعة ابن خلدون- تيارت (الجزائر)، rabah779@yahoo.com

ملخص:
الشيخ محمد الغزالي-رحمه الله- (1917-1996) من أبرز علماء الإسلام في العصر الحديث، حاول أن يسخر علمه وأفكاره للدفاع عن أمته الإسلامية وبعثها من جديد حتى لا تتأخر عن ركب الأمم،والقارئ لكتابات الشيخ سيجد نفسه أمام العديد من القضايا الأدبية التي أثارها صاحبها وحاول ربطها بالقضية الجوهرية في حياة كل مسلم وهي الوضع الفكري والثقافي للأمة والعمل على تغييره وتجديده، وقد حاولت الدراسة البحث في قضايا: دور الأدب وعلاقته بالخطاب الديني، جمالية الأسلوب الأدبي عند الغزالي، عرض الخطاب الديني باللغة المناسبة ووضع اللّغة العربية بين أهلها .

كلمات مفتاحية: الفكر الإسلامي، الخطاب الديني، الأدب والخطاب الدعوي، التغريب الفكري والثقافي.اللغة العربية

Summary:
Al-Sheik Mohamed al Ghazali, may Allah have mercy on his soul: (1917/1996), was a leading Muslim scholar of the 20th century. All of his knowledge and ideology are dedicated to defending and reviving the Islamic nation, so that it can compete and keep pace with other nations. Those who read Sheikh's writings will be confronted with a variety of literary scenarios that he has attempted to tie to the primary issue in the Muslims lives, which is the cultural and intellectual position of the Muslim community. This research aims to investigate and highlight the significance of literature and its connection to religious discourse in order to better understand it. The splendor of the Ghazali's literary style laid out the presentation of the religious discourse with the appropriate language among its

المؤلف المرسل: عبددو رابح، **الإيميل:** rabah779@yahoo.com

users. Then, it shows the positions and opinions of this scholar towards those literary issues.
Keywords: The Islamic thought, the religious discourse, Literature and Advocacy Speech, the Arabic language, the cultural and intellectual westernization

توطئة :

نشأ الشيخ الفاضل محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في أسرة كريمة ومحافظة وقد أتمّ حفظ كتاب الله الكريم وهو لا يزال في العاشرة من عمره، ثم تدرّج في المراحل التعليمية وتحصّل على شهادات قيّمة ودرجات رفيعة حتى أدرك درجة العالمية ليبدأ بعدها رحلته في الدعوة التي انطلقت من مصر مسقط رأسه وجابت أنحاء العالم الإسلامي والغربي

ساهم الشيخ الغزالي بشكل كبير وجهد عظيم في نشر الوعي الإسلامي عبر وسائل الإعلام المختلفة فكان لذلك الجهد الأثر الطّيب في نفوس النّاس جميعا وبالأخص طلاّب المعاهد والجامعات الإسلامية حيث ساهم في تخريج أجيال من العلماء والدعاة ممن تتلمذوا على يده وأخذوا من علمه الغزير وأدبه الجمّ وسيرته الطيبة العطرة .

ولعل أرض الجزائر وأهلها تشرفوا بمقام "الشيخ الغزالي" معهم داعيا وعالما ومجاهدا مدة سبع سنوات كانت حافلة بالعلم النّافع والتوجيهات السّديدة والوعي الواسع بخبايا هذا الدّين العظيم، ومن أبرز ثمار هذه الإقامة الطيبة إرساء وتطوير "جامعة الأمير عبد القادر" بقسنطينة فالشيخ الغزالي رحمه الله يعتبر من أكثر العلماء والشخصيات الدينية التي نوّرت هذه "الجامعة الإسلامية" وجلبت لها خيرا كثيرا .

وسنحاول من خلال بحثنا الإشارة إلى مجموعة من القضايا المرتبطة بالخطاب الدعوي عند الشيخ محمد الغزالي مع التركيز على الجوانب الأدبية الفنّية والجمالية لأسلوب الغزالي .

أ ـ دور الأدب وعلاقته بالخطاب الديني :

يشير الشيخ الفاضل لضرورة أن يكون الداعية محيطاً بعلوم اللّغة متمكناً منها خدمة لرسالة الإسلام "فأنّى لرجل محروم من حاسة البلاغة أن يخدم ديناً كتابه معجزة بيانية ورسوله إمام للحكمة وفصل الخطاب "(1)

ويبدو أن غالبية الدارسين والباحثين انشغلوا بالتجربة الدعوية والفكرية للشيخ الغزالي ولم يهتموا بالتجربة الأدبية والنقدية إلا فيما ندر مع أن تجارب العلماء في المجال

الأدبي راقية وتستحق الدراسة والاهتمام من منطلق تثبيت العلاقة القوية بين الخطاب الأدبي عموما والخطاب الديني.

والحقيقة أن كتابات الشيخ الفاضل غنية بسحر البيان والقدرة العجيبة على التعامل مع الكلمة وطريقة التعبير بها، فقد أدرك الشيخ أن عصره عصر تنوّع الثقافات وتعدّد المعارف ولابدّ أن يتم التخاطب مع الناس بما يفقهون فكان (رحمه الله) يختار بحسه الأدبي ما يراه مناسبا من الموروث القديم ومن الإنتاج الحديث ويدعّم ذلك بالحقائق الدينية ثم يعرضه في وقته ومكانه المناسبين، حتى يلاءم به أذواق النّاس ويلبّي حاجتهم إلى القيمة الفكرية والمتعة الأدبية، وهو يدرك بلا شك أن" الأدب في هذا العصر أصبح بمواضيعه وأساليبه المختلفة يجذب قطاعا عريضا من الناس، وأصبح الذوق بشكل عام ميّالا إلى اكتساب المعرفة والثقافة بطرق فيها يسر واقتصاد، وفيها جاذبية وإمتاع" (2)

كما أن معاصريه من كبار العلماء والدارسين يعترف له بتلك القدرة والتفوّق في طريقة التعبير الساحرة والميزات التي اجتمعت في كتاباته وتفرّقت في كتابات أشهر الأدباء والمفكرين"كان الغزالي يحمل روح الرافعي وتألقه وسهولة المنفلوطي وتدفّعه، وتأمّل العقّاد وتعمّقه"(3)

ولعل المتأمّل في مؤلفات الشّيخ سيلاحظ أنهّا كتبت بأسلوب أدبي يسهل فهمه وهو يناسب عامة الناس ويتماشى مع أذواقهم ويمكن أن نحصر هذا الجانب الأدبي في أمرين:

أولا: اختيار الإنتاج الأدبي الرّاقي ثم صياغته في الخطاب بما يناسب ويخدم الفكرة التي يريد الشيخ إيصالها للمتلقي.

ثانيا: التعبير عن هموم وانشغالات النّاس في حياتهم اليومية وتحليل واقعهم ومعيشتهم كل ذلك بأسلوب أدبي مميز.

لقد أدرك الغزالي (رحمه الله)أهمية وقيمة الأدب والدور الخطير الذي يلعبه في تثقيف فئات متعدّدة من المجتمع فمعظم الناس يحبّذون الطرق السّهلة التي تتميز بالكثير من الأشعار مثلا فجاء توظيف القصائد لمحمود غنيم ومصطفى حمام وحافظ إبراهيم وغيرهم وهذا حتى يؤكّد القيم والمعاني التي يتحدّث عنها ويدعّمها بأفضل ما قاله الشعراء قديما وحديثا.

إنّ ثقافة الشيخ الغزالي ثقافة واسعة زادتها التجارب الحياتية القاسية قوة وقدرة على الإقناع ولهذا يعدّ خطاب الغزالي أنموذجا متفرّدا لم يألفه معظم الناس من قبل "فهو

أديب كبير ومؤرّخ، ومفسّر تاريخ، وكاتب في الدّراسات النّفسية والاقتصادية والاجتّماعية"(4).

وحتى يكون هذا الخطاب واضحا ومؤثّرا في النفوس كان لابد من توظيف لغة سهلة وممتعة وأسلوبها شيق ونافذ للعقول والنفوس وهذا ما انتبه إليه الشيخ الجليل فراح يجدّد ويغير في اللغة والأساليب لأنه يؤمن أن لكل عصر أفكاره واللّغة البسيطة الواضحة هي المؤثرة خاصة في مجتمعات تأثّرت كثيرا بالتّقنيات والماديات ووسائل التواصل الحديثة والمتجدّدة باستمرار، فكيف للخطاب الديني أو الفكري أن يبقى على ما هو عليه والعالم من حوله يتغير بصورة مدهشة؟.

وعلى هذا الأساس اختار الغزالي اللغة الفصيحة الجميلة والمعنى الواضح الذي يقع في النفوس والعقول ويكون تأثيره فعليا وايجابيا، ولا اختلاف في لغة وأسلوب الغزالي بين ما يكتب أو يخطب "فخطبه كلها قطع أدبية لا تجد فيها حوشي الكلام ولا سوقيه، كما لا تجد فيها التقعر والإغراب الذي يحوجك إلى المعاجم لتبحث عن معاني ما سمعت"(5).

لقد خالف الغزالي الكثير من العلماء في طريقة عرضهم للمسائل المتعلقة بالعقيدة والتي كثيرا ما قدمت في أشكال وأساليب معقدة يصعب على المتلقي فهمها أو استساغتها ولعل ما جاء في كتابه "عقيدة المسلم" خير دليل على ذلك حيث يقول في هذا السياق:" إذاكان علم التوحيد على النحو الذي وصفنا فإن كتبه التي تشيع بيننا الآن فشلت في أداء رسالتها شكلا ومضمونا، فمن ناحية الشكل لا معنى البتة لعرض علم ما في توزيع مضطرب بين متن وشرح وحاشية وتقرير وفي لغة ركيكة سقيمة الأداء، لغة تصور سقوط البلاغة العربية في عهد الحكم التركي"(6).

كما أن الشيخ الغزالي كثيرا ما يشير لأهمية معرفة فنون الأدب المختلفة وحسن استغلالها في عملية صياغة خطاب ديني متجدّد، فغير المسلمين أصحاب العقائد الأخرى يستغلون فنون الأدب كأدوات لعرض عقائدهم في أبهى حلة فيقدّمونها للنّاس بعبارات أدبية رائعة وفي هذا يقول الشيخ: "تطوّر الأدب في عصرنا هذا لا ينكر، وقد بلغ من تمكّن المؤلفين والمتأدبين في اللغة أن تناولوا الموضوعات التّافهة، فأخرجوها في ألبسة زاهية، ووجهوا ألوف القراء- بسحر بيانهم- إلى ما يريدون، فهل يبقى الكلام في العقائد حكرا على هذا النمط من الحواشي والمتون"(7)

لقد التزم الشيخ الغزالي وهو يؤدّي واجب الدعوة إلى الله بالمنهج القرآني القائم على "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"(8)ويمكن أن نستشهد في هذا السياق بموقف الشيخ رحمه الله حينما دافع بقوة عن أسلوب القرآن الكريم ردًا على المستشرقين الذين رأوا في آياته الكثير من التكرار وحتى التناقض في رأيهم حيث يقول الشيخ: «إن القرآن الكريم لوّن حديثه للسامعين،حديثا يمزج بين إيقاظ العقل والضّمير معا، ثم تابع سوقه متابعة إن أفلت المرء منها أولاً لم يفلت آخراً، كما يصاب الهدف حتما على دقة المرمى، وموالاة التصويب، وذلك هو تصريف الأمثال للناس، إنه إحاطة الإنسان بسلسلة من المغريات المنوعة.....أو معالجة القلوب بمفاتيح شتى، لابد أن يستسلم القفل عند واحد منها"(9).

فالقرآن الكريم كنصّ مقدّس ومعجز تلمس فيه أساليب متعددة الغرض منها إيصال فكرة للمرتلين ورسم صورة في أذهان المتمعنين وتجسيد حقيقة للمكذّبين .

وعن تراجع دور الأدب وخاصة في المجتمعات الشّرقية يرى الشيخ الغزالي أن الجهات الرسمية السياسية لا تعمل بجدّ واهتمام لتطوير الآداب عموما وصيانة اللّغة خصوصا ولعل واقع مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا يعكس هذا الجمود والتقوقع "ومع أن الحكومات العربية أساءت إلى اللغة ولم تحسن نصرتها، وقعدت بالأدب العالي، فلم تمنح رجاله ما يستحقون من صدارة، إلا أنّي أحسب أن المعاهد المتخصّصة في الدّراسات اللّغوية والبلاغية تحمل وزراً أشدّ في هذا المضمار"(10)

كما يرى الشيخ الغزالي أن بعث الأدب من جديد ممكن شريطة أن نبتعد عن المواضيع التافهة ونرسم هدفاً نبيلاً ونجتهد للوصول إليه وقد يتحقق هذا ببعث الفنون والآداب الرّاقية التي توجّه للخير وصلاح الأمة عبر القصيدة والرواية والمقالة وغيرها، والغريب في الأمر حسب رؤية شيخنا أن أدبنا وتراثنا العربي زاخر وحافل بالنماذج والقيم الإنسانية ومن العجب أن الهيّن من التراث يبرز ويتداوله الناس ويشيع بينهم أما النفيس القيّم فيبقى مخفيا والقلة القليلة من تطّلع عليه، ومع هذا فالتّمسك بالتراث وما فيه من الآداب العالمية والتجارب الإنسانية على قدر من الأهمية وخاصة في الجوانب الجمالية والأشكال التعبيرية الحديثة التي يميل إليها النّاس في مشارق الأرض ومغاربها ويقبلون عليها ويهتمون بمحتواها.

فهي لا تخلو من النّماذج الرّاقية التي يمكن الاستفادة منها ومن هذا قول الغزالي "رحمه الله": "أنا أحتفي بالأدب الإنساني المجرّد، الأدب الذي يصف بصدق مشاعرنا وما

نعاني في هذه الحياة، وعندي أن هذا الأدب يمتّ بصلة إلى الإسلام، لأن الإسلام دين الفطرة فما اقترب منها من قول أو عمل يقترب منه من شعر أو نثر، قد يكون بعضه جاهليا، لأني وجدت الإسلام يقرّ هذا الخلق، أو يحضّ على هذا الأدب"(11)

ولكن هذه النّماذج الرّاقية من الآداب العالمية لا تعني أبدا عدم وجود نوع آخر من الآداب المنحرفة التي كثيرا ما تصاغ وتكتب بأساليب جذّابة حسب رأي الغزالي وهي بذلك تهدف لجرّ الشّباب خاصة إلى مستنقعات الرذيلة وإحداث القطيعة مع العقيدة فكثيرا ما تثير هذه الأعمال الفنّية وتدفع للشرور والآثام، والغريب في الأمر أن من أبناء جلدتنا من ينساق وراء هذه النّماذج ويسعى للنّسج على منوالها، فما أكثر الكتاب والروائيين والممثلين والمغنيين المقلّدين للغرب والمنتجين لأدب وفكر لا يخدم المجتمعات الإسلامية بتاتاً .

وعن هؤلاء يقول الشيخ الغزالي "رحمه الله": "يبدو أن بعض الأدباء ألف الحياة في مجاري المجتمع ومساربه السفلى، والمدهش أنه يريد جرّ الآخرين إلى مستواه الخلقي، أو أنه يريد نقل روائحه المنتنة إلى ظاهرة الحياة محاولا طمس ما بنيت فوقها من حدائق وما فاح في جوّها من عطور، كذلك يصنع كتاب الجنس في بلادنا وفي أكثر أقطار الدنيا "(12)

لقد عرف الشيخ الغزالي رحمه الله بعاطفته الجياشة وتأثره البليغ بما يصيب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وهذا ما جعله يسخّر جلّ وقته لخدمة المسلمين والدّعوة لدين الله الحق ،ومع هذا العبء الثقيل والمسؤوليات الجسيمة كان الشيخ الفاضل يبدي اهتماماً واضحاً بقضايا الفكر عامة والأدب بشكل خاص ولعل المتمعن في أسلوب الشيخ وطريقة صياغته للأفكار سيقف حتماً على روعة الذوق الفنّي والأدبي في كل كتاباته .

تناول الشيخ واقع الأدب واعتبر هذا الواقع من معيقات تطوّر الأمة حيث انتشرت أعمال أدبية هدمت الذوق الفنّي الأصيل وقد عدّها الشيخ أدباً منحرفاً كما ذكرنا ومن هنا حرص رحمه الله على إحياء أمجاد الإسلام من خلال الدعوة إلى كتابة أدب إسلامي ينهل من تلك القيم والمبادئ السامية حتى نتمكن من مواجهة وردّ سموم دعاة الحداثة والتغريب الذين سقطوا في شراك الأعداء فكتبوا أدباً منحرفاً وفكراً مغلوطاً هبط بالأمة إلى الحضيض ولعل هذا ما جعل الشيخ الغزالي شديد التأثر بأدباء وشعراء عصر النهضة الأدبية من أمثال شوقي والرافعي وغيرهم من الذين أثبتوا تمسكهم وولاءهم للّغة العربية كما أنّهم تعلقوا بالتراث العربي الإسلامي وسعوا لبعثه من جديد وقد فشلت كل محاولات الطمس والمسخ

التي طالت أنحاء الوطن العربي بفضل تلك النهضة الأدبية والفكرية التي عملت على مواجهة الإحتلال والتصدي لسياساته التغريبية بروح إسلامية محافظة على هوية ومقومات الأمة .

ب ـ جمالية الأسلوب الأدبي عند الغزالي :

يعدّ اختيار الأسلوب المناسب لمخاطبة النّاس حسب مستوياتهم ودرجات فهمهم من أهم قواعد وأبجديات فنّ الإقناع،وقد أولى الشيخ الغزالي أهمية قصوى لأسلوبه في التعبير نلمس هذا في كتاباته وخطبه بل وحتّى في أحاديثه العامة لأنّه كان مقتنعاً بأثر الأسلوب الجميل حينما يقترن بالكلمة الهادفة ،فقد تكون الأفكار صحيحة والغايات جليلة ،ومع ذلك لا يوفق الخطيب وقد يعجز عن الإقناع لأنّ أسلوبه لم يكن مناسباً ولهذا نجد الغزالي يشدّد على أنّ نجاح الدّاعية يرتكز على الفقه الدقيق والعميق يليه مباشرة الأسلوب الملائم.

والأسلوب هو طريقة تأليف الكلام ببلاغة وهو عند القدماء "الضرب من النّظم والطّريقة فيه"(13) وهذا يعنى ضرورة الاستعانة بالأدوات اللّغوية والنّحوية لتحقيق الأهداف التّواصلية،فامتلاك الأسلوب يتطلّب ممارسة ودراية بالأساليب البلاغية عند العرب ،وعليه سنجد في مؤلفات الشيخ الغزالي تنويعاً في الأساليب الأدبية ولعلّ هذا ما روّج لتلك المؤلفات وأعطاها وقعاً مؤثّراً لدى جمهور القرّاء،كيف لا والغزالي عالم ربانيّ متعلّق بالقرآن الكريم متأثّر بأسلوبه يسعى جاهداً لدعوة النّاس إلى طريق الهداية .

مميزات أسلوب الكتابة عند الغزالي :

آمن الشيخ الغزالي بدور الكلمة الطّيبة ووقعها في عقول وصدور النّاس ولهذا راح يصوغ كلامه بأسلوب متفرّد يتميز بالوضوح والبساطة وبالجودة والإتقان،ولعلّ هذا ما جعله يعيب على فئة من الدّعاة عدم اختيارهم للأساليب الموافقة لعقول النّاس وأوضاعهم النفسية والاجتماعية خاصة،وعليه كان الغزالي يرفض بشدّة الأسلوب المبني على التّعصب للفكرة خاصة إذا تمحورت حول مسألة خلافية فالأجدر بالعالم والمتكلم في هذا المقام أن يكون ليّناً مراعياً لأحوال النّاس مع معرفة دقيقة وتبحر في علوم الدّين ،وعلى ضوء ما ذكرناه يمكننا أن نعدّد أبرز مميزات أسلوب الشيخ الغزالي فيما يلي :

أ ــ يميل الشيخ الغزالي في معظم خطبه وكتاباته لاستخدام الأسلوب الأدبي ،فهو يعرض الفكرة بلغة أدبية جميلة ومنتقاة تضمن من جهة متعة فنية ولغوية ومن جانب آخر الفائدة المعرفية،وفي ذلك مخالفة للفلاسفة وأهل الفكر الّذين يهتمون بالفكرة العميقة دون النّظر لأسلوب وطريقة التّعبير وجماليات اللّغة .

ب ـ ومن المميزات اللافتة في أسلوب الشيخ الغزالي توظيف القصص بشكل مبسط يخدم الفكرة ويجلّيها وعادة ما تكون هذه الحكايات من واقع حال النّاس وقريبة منهم فيكون تأثيرها مضموناً ،والأسلوب السردي يبعد الفكرة عن التّجريد فيبسطها ويقربها من الفهم مع تدعيم كلّ ذلك بالأساليب الإنشائية كالنّداء والأمر والاستفهام وغيرها .

ج ـ القارئ لكتابات الغزالي والمستمع لخطبه سيقف حتماً على مسألة توظيف الشواهد والنماذج الأدبية المتنوعة من شعر وحكم وأقوال مأثورة وصور فنية وأحياناً بكثرة ولعلّ الغرض من ذلك تقريب المعاني وتيسيرها للعامة .

د ــ ومن مميزات أسلوب الغزالي في كتاباته استخدام ضمير المتكلّم (أنا) أو بصيغة الجمع (نحن) وهذا ما يجعل المتلقي يشاركه التّجارب والأفكار والدفاع عن المبادئ النبيلة بقوة وإيمان راسخ ،والغزالي متمكن في هذه الجزئية وقد ساعده في ذلك ثقافته الواسعة وتمكّنه من اللّغة يضاف لذلك مخالطته للنّاس وإدراكه لمعادنهم ونفسيا تهم .

3 ـ عرض الخطاب الديني ووضع اللّغة العربية في فكر الغزالي :

أ ـ عرض الخطاب الديني من خلال فكرة "الرّجل العبقري" :

لقد عرف "الشيخ الغزالي "(رحمه الله) بقدرته الفائقة وقوة تأثيره في مجال الدعوة بمنهج معتدل وأسلوب حوار راق مع كل الأفكار والثقافات، فكان (رحمه الله) من أشد المدافعين عن القيم الإسلامية والمبادئ الدينية مع الحرص على بعث الأمة من جديد وإيقاظها من سباتها، كل ذلك كان يقدمه الشيخ بأسلوب بياني وخطاب أدبي أفكاره بسيطة لا غموض فيها وتعبيره غاية في الجمال والرونق.

وبالعودة لمؤلفات الشيخ الغزالي قراءة وتحليلاً سنجده يركّز على طريقة عرض الخطاب الديني وأهمية فكرة صناعة الفرد الصالح و"الرجل العبقري" فهي الفكرة المسيطرة ولعلّها عماد فكر الشيخ وواحدة من المحاور الكبرى في دعوته ومساعيه لإصلاح الفرد المسلم وتقويم سلوكاته .

وهذا ما يفسّر موقف الشيخ من الإنجازات العلمية والتكنولوجية المذهلة للغرب حيث صاحب تلك الثورة العلمية تراجع رهيب على المستوى الأخلاقي والدّيني للأفراد ،فما قيمة التّطور والإزدهار في أيّ أمة وأفرادها نبذوا التعاليم الربّانية وصدّوا عن السّبيل القويم يقول الشيخ الغزالي في هذا السياق: " إنّ الجفاف الروحي والانقطاع الرّهيب عن الله ربّ العالمين ،والصّدود الغريب عن تراث النبيّين ،وغلبة الأثرة والجّشع على الأقوياء ,وسيادة

المنطق المادّي في كلّ شيء...إنّ هذا نذير شؤم .وأيّ تقدّم يحرزه العلم في تلك الميادين لا يبعث على التّفاؤل ،ما لم يصحبه عود سريع إلى الله ،وإعزاز لأمره ، وإعلاء لشرعه ." (14)

وعليه يمكننا أن نستشعر خطورة التعامل مع الفرد وأهمية التّركيز على البناء الأخلاقي للأجيال حتى نضمن "صناعة حسنة لنفر من الرجال الموهوبين " كما كان الشيخ يردد باستمرار وينبّه للفرق بين العالم والدّاعية ،فقد يكون المرء عالماً متبحراً في مجال معين ولكنّه غير مؤهل لأن يكون داعية ،فالدّاعية يتميّز ويتّصف بصفات لا تتوفر لغيره وقد تبدو بعض هذه الصفات نعوتاً شائعة عند فئة من النّاس ولكن حظ الدّاعية منها وافر ،وفي هذا السّياق يضرب لنا الشيخ مثالا رائعاً ومعبّراً حينما يقول :

" إنّ حقائق الدّرس بعد أن يشرحها الأستاذ قد تظهر متساوية لدى الجميع وقد يظنّ التّلاميذ أنّهم ومعلّمهم أصبحوا سواء في وعيها ،وهذا بعيد ،فإنّ الأستاذ لديه من رسوخ المعلومات ووضوحها ومن القدرة على تقليبها وعرضها ما يعزّ على غيره ،وقد يوجد في النّاس من امتلأ قلبه بالإيمان لكن هذا الإيمان لا يعدو أصحابه ،والإناء لكي ينضح على ما حوله يجب أن يفيض ،وأن ينزل فيه ما يزيد على سعته وما ينسكب من جوانبه ،فنفوس الدعاة

يجب أن يكون لديها مقادير من اليقين والحماس والفضل يتجاوزها إلى ما عداها،ويجعل الاستفادة منها ميسرة للآخرين "(15)

ويعرض لنا الشيخ أبرز خصائص الدّاعية الناجح حينما يؤكد على مجموعة من الصّفات لا بدّ أن يتحلى بها أهمها على الإطلاق حسن الصّلة بالله تعالى ويسميها الشيخ " الدعامة الأولى في أخلاق الدعاة " فلا يمكن أن تدعو النّاس إلى أحد وعلاقتك به ضعيفة ومعرفتك به محدودة ، وإذا كان كل مسلم مطالب بتقوية علاقته مع خالقه فالدعاة على ذلك أحرص وأعمق وأوضح ،وينتج عن الصّلة الحسنة بالله صفة تالية لا تقلّ أهمية وهي إصلاح النّفس فمن أوثق صلته بربّه عرّفه بعيوبه وأعانه على إصلاحها وتجاوزها كما أنّ النّهي عن خلق وإتيانه ممّا لا يليق بالدّعاة وفي ذلك إساءة للدين برمّته ،وفي هذا السياق يشير الشيخ لنوع من الدّعاة يعتقدون أنّ ما يذكرونه للنّاس ليس موجّهاً إليهم بالدّرجة الأولى وهو خطاب يخصّ غيرهم ولا يعنيهم ولهذا نجد الشيخ يعتبرهم بمثابة "الأشرطة المسجلة " التي يشغّلها النّاس من حين لآخر، فهم في ذلك نقلة لا غير .

وفي فكر الشيخ الغزالي مسألة مركزية وخاصية أساسية لا يهملها الدّاعية الناجح وهي دقة الفهم التي تنتج عن ذكاء في العقل وصفاء في القلب، فالتشخيص الصحيح للأمراض

والعلل يتيح للدّاعية معالجتها بشفاء مناسب لها ينتقيه من كلام الله ورسوله ،وفي تقدير الشيخ الداعية الذي لا يجمع بين الذكاء والنّقاء يثير مشكلات أمام انتشار الإسلام .

وهكذا يسترسل الشيخ الغزالي ـ رحمه الله ـ في عرض صفات الداعية الناجح فيذكر لنا صفات لا تقل أهمية عن الصفات التي ذكرناها آنفاً وأبرزها صفة الإخلاص والثقافة الموسوعية للداعية والتي تتيح له تقليب المسائل والنظر فيها بعمق وأفق رحب مبتعداً عن السطحية والنظرة الضيقة في معالجة قضايا النّاس وحلّ مشكلاتهم الدينية والدنيوية .

ب ـ وضع العربية وو اقعها المزري في نظر الغزالي :

إنّ الواقع المرير والمحزن الذي تعيشه اللّغة العربية جعل الشيخ الغزالي من أبرز علماء الأمة تنديداً بالأوضاع العجيبة التي تحياها ،فكان رحمه الله يحذر دوماً من الممارسات الخطيرة والتّصرفات اللامسؤولة تجاه القضايا المصيرية للأمة كما كان يحذّر من الأحداث الحساسة وما قد ينجر عن ذلك من تردي الأوضاع وضياع ماضي الأمة التّليد وبالتالي ضياع حاضرها ومستقبلها ، ولعلّنا نذكر في عجالة أهم وأخطر تلك القضايا ومنها :

ـ الانتشار الخطير للّهجات العامية واللّسان الدّارج وقد صار لكل بلد في الوطن العربي لهجته بل هناك ما هو أخطر إذ تتعدّد الألسن داخل القطر الواحد فلكل جهة أو إقليم لهجة محلية خاصة به وهذا الأمر جعل اللّغة الفصيحة تنحصر بشكل خطير تاركة المجال للّهجات العامية التي أضحت حاضرة حتى في المنابر الجامعية والمؤسساتية فإذا كانت الفصحى جامعة للقوم فإن هذه العامية مفرّقة لهم لا محالة لكونها خليط غريب وشتات من الكلمات المبتورة أحياناً من مصادر مختلفة .

ـ تأثير النّخبة سلباً على عامة النّاس من خلال التّواصل معهم بلغة ركيكة وبأساليب مضطربة تجعل صورتهم وهم أهل القدوة تجعلها مهزوزة بل من المفارقات العجيبة أن تجد دعاة العروبة عاجزون وبعيدون عن اللّغة الجميلة المعبّرة التي تناسب مكانتهم وتستدعي احترامهم .

ـ والأخطر من ذلك كلّه أن تجد السّواد الأعظم من المسلمين يمجّدون ويعظّمون الغرب ويرون في تقليده وتتبع خطاه دليل على مسايرة العصر وصورة معبرة عن التّحضر والتّخلص من أسر الثقافة البالية التي لا تتماشى وروح العصر .

لقد كان الشيخ الغزالي "رحمه الله" من أكثر العلماء إيمانا بأهمية الأدب ورسالته السامية ودوره الخطير في الدفاع عن ثوابت الأمة وصيانة لغتها وبعث مجدها التليد ولهذا

كان كثيرا ما يشير إلى ما أسماه "المعركة الأدبية" التي تتطلب صدق التعبير وسلامته ولهذا كلّه كان الشيخ الغزالي "رحمه الله" أديبا فذّا وكاتبا متمكّنا بقلم بليغ ولغة راقية ومعبّرة فكانت كتاباته بحق كتابات أدبية من طراز رفيع ونادر.

خاتمة :

يمكننا أن نخلص في نهاية بحثنا إلى جملة من النّقاط نوجزها فيما يلي :

1 ــ صاغ الغزالي فكره الديني ومواقفه في مجال الشريعة الإسلامية بأسلوب أدبي وفنيّ راق وقد تجسّد ذلك فيما وظّفه من النّماذج الأدبية الأصيلة في معظم كتاباته وخطبه فتلقاها النّاس بحفاوة واستساغوها بيسر .

2 ــ ربط الشيخ الغزالي جلّ القضايا الأدبية الّتي تناولها بقضايا الفكر المتجدّد وبمسيرة وحركة إحياء الأمة من غفلتها،وقد وجد في الأدب ضالته لأنّ هذا الأخير يتضمن المبادئ والقيم الإنسانية النبيلة والّتي يمكن تسخيرها خدمة للقضايا الجوهرية لأمّتنا .

3 ــ تمسّك الغزالي بالأساليب التّعبيرية البسيطة الّتي تضمن له التّواصل بسلاسة مع كلّ النّاس وحرص على ذلك في جلّ إبداعاته وبالمقابل كان يرفض بشدة وينبذ الأساليب القائمة على التّعصّب في عرض الأفكار الدينية والعقائدية .

4 ــ من أبرز القضايا الّتي شغلت بال الشيخ الغزالي قضية الأدب المنحط الّذي يتّخذ أشكالاً متعدّدة وهو في نظر الشيخ سلاح في أيدي الأعداء يهدمون به هوية المسلم ودينه وعليه دافع الشيخ عن الأدب الإسلامي كوسيلة مجابهة من جهة ثمّ كقيمة أخلاقية تشحذ الهمم وتبعث الأمجاد والبطولات .

5 ــ تألّم الغزالي لوضع اللّغة العربية في دارها وبين أبناءها فدافع عنها بشدّة وحذّر من جملة من السلوكيات المنتشرة في البلاد العربية والّتي تسيء للعربية وتهوي بها للحضيض وبالمقابل بيّن ما في العربية من مميزات كالاشتقاق والتّرادف والمرونة وغيرها من الخصائص المساعدة على تطور اللّغة ومسايرتها للمتغيّرات من حولها .

مراجع البحث وإحالاته:

1ـ: خطب الشيخ في شؤون الدين والحياة طبع دار الإعتصام القاهرة ،بدون تاريخ ،ص: 16

2-: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من هذا القرآن، طبعة دار الفكر، دمشق، ص: 15.

3ـ يوسف القرضاوي: الشيخ الغزالي كما عرفته، القاهرة، دار الشروق،ط1، 2000، ص 13.

4ـ عبد الحليم عويس: الشيخ الغزالي تاريخه وآراءه، دمشق، دار القلم،ط1، 2000،ص: 141.

5 ـ يوسف القرضاوي : الشيخ محمد الغزالي كما عرفته، ص: 61.

6 ـ محمد الغزالي: عقيدة المسلم، دمشق، دار القلم، ط1، 1998، ص 9-10.

7 ـ المصدر نفسه: ص: 10.

8ـ الآية: 125 من سورة النحل.

9- محمد الغزالي: نظريات في الفكر و القرآن، الجزائر، دار الشهاب، ط1، ص: 123.

10 -: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، فيزيولوجيا و.م.أ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991، ص: 185.

11- المصدر نفسه: ص: 196.

12– محمد الغزالي : حصاد الغرور، دمشق، دار القلم، ط3، 1998م، ص 141.

13 ـ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، تحقيق :محمود محمد شاكر(القاهرة: مكتبة الخانجي،ط1 ،1989) ص: 468 .

14 ـ محمد الغزالي : مع الله، دار الكتب الإسلامية القاهرة ،ط6 ،1425هـ،ص :15 .

15 ـ: موكب الدعوة ،طبع نهضة مصر القاهرة، ط 1، 1997، ص : 83 .